

حقائق التأويل

[84] فالجواب: أن امرأة عمران قالت عند حملها بمريم عليها السلام: (رب إنني نذرت لك ما في بطني محررا... - 35)، فاشتربت ما في بطنها بالنذر، فكان ذلك منها بعد القعود والياس من الولد، فنذرت أن تجعل ولدها (الذي من الله عليها بحمله) سادنا (1) يخدم بيت المقدس طلبا للقربة، وخروجا من حق النعمة، وكان لا يجوز لخدمة بيت المقدس إلا الذكران، فلما وضعتها أنثى قالت متعذرة إلى ربها، ومشفقة من ألا يتقبل نذرها: (رب اني وضعتها انثى وليس الذكر كالانثى)، أي: في المعنى الذي أردته من التقريب بالذكر وتصويره خادما لبيت المقدس، لان الانثى لا تصلح من ذلك لما يصلح له الذكر، لاجل ما يلحقها من الحيض والنفاس، ويلزمها من الصيانة عن التبرج للناس، ولانها إذا خالطت الرجال افتنوا بها، واستضروا بمكانها، فتقبلها الله تعالى وأجراها مجرى الذكر في التقرب به وتحريره لخدمة بيته ولم يفعل ذلك بأنثى غيرها، تميزا لها من نظائرها، ومعنى محرر أي: جعلته نذيرة [2] خالصا، وكلما أخلص ولم يعلق بشئ غيره فهو محرر. ومنه تحرر الكتاب، وهو: إخلاصه من سودائه [3]. ومنه قولهم: حررت الغلام، ومعناه: جعلته خالصا لنفسه وأزلت ملكي عن رقبته. ومنه رجل حر، أي: خالص من العيوب. والطين الحر: ما خلس من الرمل والحماة [4]، وكأن المحرر هو المفرج (1) السادن: خادم بيت العباد. (2): الولد الذي يجعل قيما أو خادما لبيت العباد ذكرًا كان أو انثى. (3) يريد المسودة (وهي عند الكتاب ما يكتب ابتداء بقصد المراجعة) ولم يسمع ذلك. (4): الطين الاسود المتغير.